

محاضرة رقم 03

ب - مقاومة الامير عبد القادر (1832 - 1847) .

1- مولده ونشأته :

ولد عبد القادر بن محي الدين عام 1807 بقرية القيطنة الواقعة غرب مدينة معسكر، حفظ القرآن، و تتلمذ على يد عدد من شيوخ المنطقة، فأخذ عليهم العلوم الشرعية، واللغوية، والتاريخ، والشعر، والفقہ في سن مبكر.

2- مبايعته :

ولما كان الشيخ محي الدين متقدما في السن، رفض أن يتحمل عبء المقاومة، ومبايعته أميرا، فعرض أهالي منطقة الغرب الجزائري عليه أن يبايعوا ابنه عبد القادر، فقبل رأيهم، وتمت له البيعة مرتين، الأولى رسمية من الأعيان في 27 نوفمبر 1832 تحت شجرة الدردارة من قبل زعماء القبائل، والعلماء في سهل غريس قرب معسكر، والثانية بيعة عامة في 4 فيفري 1833.

3 - مراحل المقاومة الامير عبد القادر :

أ- مرحلة القوة: (1832-1837) :

تمكّن خلالها الأمير من بسط نفوذه على مدن رئيسية مثل تلمسان ومليانة والمدية وحاول تحرير أرزيو ووهران، وشدّد الحصار على مدينة مستغانم، فاضطر الجنرال دي ميشيل حاكم وهران إلى عقد معاهدة معه بتاريخ 26 فيفري 1834 عرفت باسم "معاهدة دي ميشيل". واستفاد الأمير من فترة الهدنة في توسيع نفوذه وادخال الكثير من القبائل تحت سيطرته، لكن فرنسا لم تلتزم ببند المعاهدة السالفة الذكر، حيث هاجم " ترزيل " - الذي عين مكان " دي ميشيل " - الأمير في المقطع ، لكنه مني بهزيمة نكراء في معركة المقطع في 28 جوان 1835، مما أدى إلى عزل " ترزيل " حاكم وهران والحاكم العام " ديرلون " واستبدل هذا الأخير بالجنرال كلوزيل " Clauzel " الذي هاجم وهران، واحتل ميناء رشقون، ثم سار إلى مدينة معسكر عاصمة الأمير ودخلها في 6 ديسمبر 1835، وتلمسان يوم 15 جانفي 1836. كما اصطدمت القوات الفرنسية مع الأمير في معارك أخرى من بينها معركة وادي سكاك في جويلية 1836 .

وبعد فشل القوات الفرنسية في اسقاط مدينة قسنطينة 1836، قرّر الجنرال " بيجو " الدخول في مفاوضات مع الأمير، انتهت بتوقيع معاهدة التافنة في 30 ماي 1837، حيث كانت هذه المعاهدة بداية لمرحلة جديدة في مقاومة الأمير عبد القادر.

ب - مرحلة الهدوء المؤقت وبناء الدولة (1837 – 1839):

بدأت هذه المرحلة بتوقيع معاهدة التافنة يوم 30 ماي 1837م، استغلها الأمير لتعزيز قواته العسكرية، وتنظيم دولته وإرساء دعائمها من خلال الإصلاحات الإدارية والعسكرية التالية :

- استند على الكتاب والسنة النبوية في تسيير أمور دولته .

- تشكيل مجلس وزاري مصغر، يضم رئيس الوزراء، نائب الرئيس، وزير الخارجية، وزير الخزانة الخاصة ووزير الاوقاف، وزير الأعشار والزكاة.

- اتخذ عاصمة له " معسكر، تاقدامت، الزمالة .

- تصميم علم وطني وشعار رسمي للدولة.

- ربط علاقات دبلوماسية مع الدول .

- تأسيس مجلس الشورى الأميري يتكون من 11 عضوا من أجلة العلماء، يمثلون مختلف المناطق.

- تنظيم ميزانية وفق مبدأ الزكاة وفرض ضرائب اضافية لتغطية نفقات الجهاد .

- تدعيم القوة العسكرية بإقامة ورشات للأسلحة والذخيرة وبناء الحصون على مشارف الصحراء.

- تقسيم دولته إداريا إلى 8 ولايات بعد أن كانت 4 فقط ما بين (1832 - 1837) وعلى رأس كل ولاية خليفة له، وهي كما يلي:

المقاطعة	بعض خلفاء الامير
معسكر العاصمة]، تاقدامت – الزمالة .	الحاج مصطفى بن أحمد التهامي.
تلمسان	محمد البوحميدي الولهاسي.
مليانة	محمد بن علل.
التيطري (المدينة)	محمد بن عيسى البركاني.

مجانة (سطيف)	محمد بن عبد السلام ثم خلفه المقراني.
الصحراء الغربية (الأغواط)	الحاج العربي بن الحاج عيسى ثم خلفه قدور بن عبد الباقي.
برج حمزة (جرجرة، البويرة)	أحمد الطيب بن سالم.
الزيبان (بسكرة)	فرحات بن سعيد، ثم خلفه حسين بن عزوز.....

- مؤلفات الأمير عبد القادر:

- 1- مذكرات الأمير عبد القادر.
- 2- المقراض الحاد (لقطع اللسان المنتقص دين الإسلام بالباطل والإلحاد).
- 3- ذكرى العاقل وتنبيه الغافل.
- 4- المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد.

ج- مرحلة حرب الإبادة والتسليم (1839 – 1847) :

بعد احتلال مدينة قسنطينة سنة 1837، بادر المارشال " فالي " إلى خرق معاهدة التافنة بعبور قواته الأراضي التابعة للأمير، وبدأت الكفة ترجح لصالح العدو بعد أن تمكّن من الاستيلاء على عاصمة الأمير تاقدامت 1841، وجرت معركة بين الطرفين عرفت باسم معركة الزمالة يوم 16 ماي 1843، تفوق فيها الفرنسيون، وأسروا عددا من أتباع الأمير وقواته، واستولوا على معظم مؤنثته وذخائره ومن بينها مكتبته الخاصة التي احتوت على حوالي 5000 مخطوط.

وبعد هذه المعركة، لجأ الأمير إلى المغرب الأقصى، ولكن ضغط السلطان عليه جعله يعود إلى الجزائر بعد قصف الأسطول الفرنسي لمدينة الصويرة وطنجة، وقد انتصر الأمير في معركة سيدي ابراهيم 23 – 26 سبتمبر 1845، إلا أنه فشل في ذلك خاصة بعد فقدان أبرز أعوانه، ففكر في عبور الحدود مرة أخرى لكن السلطان المغربي تحت تأثير التهديد الفرنسي أرغمه على مغادرة البلاد.

وهكذا وجد الأمير عبد القادر نفسه بين نارين: المغاربة من جهة والفرنسيين من جهة أخرى، فجمع فرسانه وأهله وكبار رفقائه، وتداول معهم الأمر، فقرروا جميعا التسليم للفرنسيين، وقد عرض ذلك على القائد الفرنسي (لامورسيير) بشرط أن يسمح له بالخروج حيث يشاء، وقد اشروط:

- أن يقدم له تعهدا مكتوبا يسمح له ولأتباعه بالهجرة إلى الاسكندرية أو عكا.
- أن تضمن هذا التّعهد شخصية فرنسية رسمية.
- إعطاء الأمان لجميع رفقائه وجنوده والسّماح لهم بالالتحاق بقبائلهم.
- إذا قبل هذه الشروط عليه أن يوقعها ويختمها بطابع القيادة.

4- نهاية مقاومة الامير عبد القادر:

وبعد أن أوقف الأمير أعماله الحربية في 23 ديسمبر 1847، على أن يتم ترحيله إلى الاسكندرية كما رغب، لكن فرنسا نقضت وعدها، وغيّرت وجهته إلى ميناء " طولون " ثم إلى مدينة " بو " في مقاطعة " أورليان " ومنها إلى قصر " أمبواز " ، حيث مكث فيه خمس سنوات تحت الإقامة الجبرية إلى أن أطلق سراحه نابليون الثالث في نهاية عام 1852، فغادر الأمير فرنسا إلى إسطنبول، ومنها إلى بورصة، وفي سنة 1855 انتقل إلى بيروت، ومنها إلى دمشق، ذاع صيته عالميا بعد احتواء فتنة الشام (بين الدروز و المرأونة) 1860، وحماية المسيحيين، وتلقى عدة هدايا من رؤساء وملوك ، ومنها هدية " أبراهام لينكولن " رئيس الولايات الأمريكية المتحدة، وملكة بريطانيا " فيكتوريا "، ودعي لحفل تدشين قناة السويس 1869،

توفي في 26 ماي 1883، ودفن في دمشق، وبعد استرجاع السيادة، نقل جثمانه إلى مقبرة العالية بالجزائر العاصمة في 5 جويلية 1966 .